ISSN 2170-0796



المحصول الاستراتيجي للسياسة الأمريكية في العالم العربي

الأستاذ: محمّد ربحي كلية العلوم والتكنولوجيا – جامعة بشار

في مطلع التسعينيات من القرن العشرين (1992م) أصدر الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون كتابا هاما تحت عنوان : (الفرصة السانحة) الذي نظّر فيه للسياسة الخارجية الأمريكية بعد انهيار المعسكر الاشتراكي طارحا سؤالا في غاية الأهمية : كيف تستطيع الولايات المتحدة قيادة العالم ؟

للإجابة عن هذا السؤال ، حدد الإطار المرجعي الذي تعتمده أمريكا في صناعة القرار الدولي قائلا :(إن للولايات المتحدة الأمريكية ثلاث مصالح في العالم ، المصالح الإستراتيجية والمصالح الحيوية والمصالح الحساسة ، وإن أمريكا لا تتوانى في استخدام القوة العسكرية عند تهديد مصالحها الإستراتيجية والحيوية ، أما عند تهديد مصالحها الحساسة فإنها تعمل على استخدام الضغوط الدبلوماسية والاقتصادية والإعلامية) ، وفي استقرائه للتاريخ السياسي الحديث خلص أن الشعوب تخوض معركتين أساسيتين: الأولى معركة الايدولوجيا و الثانية : معركة الحكم . ذلك ما يستدعي إستراتيجية عملية لتوظيف هاتين المعركتين لصياغة العالم والمنطقة العربية خصوصا بما يوافق الرؤية الأمريكية .

انطلاقا من هذا المنظور،ما هي المصالح الأمريكية في المنطقة العربية ؟ وكيف استطاعت تأمين هذه المصالح في المنطقة ؟ وما الذي حققته السياسة الأمريكية في العالم العربي منذ نهاية الحرب الثانية إلى يومنا هذا؟ ما هي الآثار التي تركتها السياسة الأمريكية في العالم العربي ؟.

1- خطة الأرض مقابل السلام

اهتمت الولايات المتحدة بالعالم العربي بشكل كبير منذ نهاية الحرب العالمية الثانية قبيل إعلان دولة إسرائيل 1948 تطبيقا لوعد بلفور الذي سلمت بموجبه بريطانيا أرض فلسطين للحركة الصهيونية ، وطبقا لمصالحها الإستراتيجية والحيوية في العالم العربي المتمثلة في ضمان أمن إسرائيل و استغلال النفط وإبعاد الدور الحضاري للإسلام، كان أول انجاز استراتيجي يتحقق في اتفاقية كامب ديفيد سنة 1978 بإخراج مصر بثقلها السكاني و دورها الحضاري وموقعها الجيو- إستراتيجي من معادلة الصراع العربي – الإسرائيلي ،وظهور أول نخبة سياسية وفكرية تؤمن بالتطبيع مع إسرائيل تحت نظرية الواقعية السياسية والارتهان لمنطق اختلال موازين القوى ، في الوقت الذي كانت تشهد فيه المنطقة العربية استقطابا حادا بين التيارات الإيديولوجية الإسلامية والليبرالية والاشتراكية على حساب التنمية والديمقراطية وبناء الدولة الوطنية الحديثة في أجواء الحرب الباردة المتميزة بتشكيل الأحلاف الاقتصادية والعسكرية والسباق نحو التسلح وغزو الفضاء والسباق الحضاري بين اليمين واليسار داخل البيت الأوروبي والقارة الأمريكية.

لكن سقوط الاتحاد السوفياتي في أواخر الثمانيات من القرن العشرين، كان الدافع الأقوى في بروز النظام الدولي الجديد الذي فسح المجال للإدارة الأمريكية لترتيب أجندة سياسية جديدة تتماشى مع هذه المرحلة ،روجت السياسة الأمريكية لنشر الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان في أوروبا الشرقية الاشتراكية بدعم الثورات الشعبية في جورجيا وكرواتيا وجمهوريات الاتحاد السوفياتي ، في حين انطلقت في العالم العربي عملية المفاوضات السرية بين منظمة التحرير الفلسطينية والكيان الصهيوني سنة 1988م مرورا بمؤتمر مدريد للسلام لتتويج اتفاق إطار المبادئ المعروف باتفاق أوسلو سنة 1992 الذي نص على الاعتراف بحق إسرائيل في الوجود مقابل تأسيس الحكم الذاتي أي السلطة الفلسطينية و تعهد الأخيرة بمواجهة حركات المقاومة وفق مبدأ الأرض مقابل السلام، دون أن يحددوا :

ISSN 2170-0796


عن أي أرض يتحدثون مقابل أي سلام يريدون ؟ واستطاعت أمريكا و إسرائيل تحييد أنظمة وحركات سياسية من معادلة الصراع العربي – الإسرائيلي بعد نجاحها في تشكيل محور الاعتدال الذي استند إلى منطق الواقعية السياسية التي روج لها الرئيس المصري السابق أنور السادات ، هذا المحور الذي نجح في ترسيم المبادرة العربية للسلام المعتمدة في قمة بيروت سنة 2002 للجامعة العربية التي رسّمت السلام كخيار استراتجي مع إسرائيل، مسار التسوية أدى إلى الصراع بين دعاة التطبيع و دعاة المقاومة في العالم العربي الذي كان من أخطر مخرجاته هو الانقسام السياسي والاجتماعي داخل المجتمع الفلسطيني وانشغاله بقضايا قانونية ومعيشية على حساب مشروع التحرر الوطني ،وفي الوقت ذاته انهماك الدول العربية بقضاياها الداخلية مثل البطالة وغلاء المعيشة و العنف والإرهاب والفساد الإداري والمالي، مع غياب الدول العربية المحورية : مصر والجزائر والعراق وسوريا في السياسات الإقليمية ، فالجزائر عاشت العشرية السوداء بعد توقيف المسار الانتخابي بدخول الإرهاب والعنف والمديونية والأزمة السياسية إلى غاية 2000 ، ومصر مكبلة بمعاهدة كامب ديفيد ، والعراق دخل أزمة الخليج منذ 1991م مرورا بالاحتلال الأمريكي ثم وصولا إلى الاحتراب الطائفي ،وسوريا في متاعب اقتصادية واجتماعية صعبة وتردد في مسار السلام ثم الدخول في الحرب الأهلية بعد انطلاق الربيع العربي,

2- نظرية الاحتواء المزدوج وصناعة الفوضى الخلاقة

الخطة الأخرى التي اشتغلت بها الولايات المتحدة فهي تضخيم التيار التكفيري الجهادي كأكبر تهديد عالمي خصوصا بعد ضرب البرجين في مدينة نيويورك في 11 سبتمبر 2001 بإعلان الحرب الكونية على الإرهاب المتمثل في القاعدة وأخواتها، وهي الذريعة التي قررت من خلالها احتلال العراق و أفغانستان وفرض ضغوط سياسية وتعليمية وإعلامية لمحاربة العنف والإرهاب في المنطقة العربية ، وكان من أسوا نتائج هذه الهجمة هي انهيار دولة العراق بكل مؤسساتها الرسمية والشعبية وحدوث الاحتراب الطائفي بين السنة والشيعة في منطقة الشرق الأوسط والخليج العربي بعد قبول أحزاب شيعية وكردية الوصول إلى الحكم بدعم أمريكي قبل انجاز الاستقلال الوطني ، الأمر الذي أدخل إلى القاموس السياسي نظرية جديدة هي : كيف تصل إلى الحكم بدون توافق سياسي وفي غياب سيادة الدولة بالاعتماد على التدخل الأجنبي ؟ وهو ما يعني أن شرخا سياسيا واجتماعيا جديدا أضيف إلى التركة الثقيلة من الأزمات التي تعصف بالأمة استنادا إلى نظرية الاحتواء المزدوج التي روج لها السفير الأمريكي الأسبق مارتن أندك العاملة على خلق جبهات متصارعة داخل الدولة الواحدة كما حدث في العراق وأفغانستان والسودان وفلسطين بعد 2006، تلك النظرية التي تقوم على فرض الضغوط والحصار على أحد طرفي الصراع من جهة في مقابل تقديم الدعم السياسي والعسكري والمعلوماتي للطرف الأخر من جهة ثانية وهو ما أفرز حالة الاحتراب بين التشكيلات السياسية والمذهبية والعرقية والفكرية وبالتالي فقدان الحياة السياسية القدرة على صياغة مرجعية جامعة تأسس مستقبل الدولة والأمة.

3- نشر الديموقراطية وعقدة الإسلام السياسي

لم يقف الأمر عند ذلك الحد، بل واصلت الإدارة الأمريكية بالتبشير بنشر الديمقراطية وحقوق الإنسان المزعومة أمام الأنظمة الاستبدادية، قبل ذلك قدمت مراكز الدراسات والأبحاث الأمريكية تشخيصا دقيقا حول الاتجاهات الفكرية المرتبطة بالإسلام مصنفة في ثلاث قوالب : الإسلام الرسمي وهو إسلام الحكومات العربية ،والإسلام التقليدي وهو إسلام الشعوب العربية ، والإسلام السياسي وهو إسلام الحركات الإسلامية ، وقد خلص المفكر الأمريكي أوز بوزيتو أن الحركات الإسلامية إذا نجحت في مجالي الاقتصاد والعدالة الاجتماعية فإنها تهدد الأنظمة القائمة في المنطقة العربية في أي تجربة ديموقراطية مقبلة ،

ISSN 2170-0796

وباعتبار قضية فلسطين هي القضية المركزية في الصراعات الدولية كما تعتبر مناخا قاتما في سجل غياب الحرية وحقوق الإنسان واغتصاب حق الشعوب في تقرير مصيرها ،شجعت الولايات المتحدة الانتخابات التشريعية في فلسطين أملا في إيجاد قاعدة شعبية واسعة لدعم عملية التسوية الجارية من اجل الذهاب إلى الوضع النهائي للمفاوضات والتوقيع على شكل الدولتين تمهيدا لتأسيس نظام الشرق الأوسط الجديد ، فجاءت النتائج معاكسة لكل التوقعات سنة 2006 بفوز حركة المقاومة الإسلامية –حماس التي أصبحت القوة السياسية الأولى في النظام السياسي الفلسطيني ، ومن ثم كان مصير قطاع غزة هاشم هو الحصار الاقتصادي والسياسي و حرب الفسفور الأبيض التي دامت 22 يوما من شهر يناير 2008 راح ضحيتها أكثر من ألف شهيد مع تدمير البنية التحتية و القدرات الاقتصادية للقطاع مع تواطؤ إقليمي مكشوف يقوده النظام المصري بقيادة الرئيس المخلوع حسني مبارك، وفي النهاية إلغاء مشروع الديموقراطية وحقوق الإنسان.

5– الخليج والمصالح الحيوية

منذ قيام دول الخليج العربي المتزامن مع استخراج النفط خلال مرحلة السبعينيات من القرن العشرين،ارتبط الوجود الأمريكي بالمنطقة كمصلحة حيوية للاقتصاد الأمريكي كما شكلت الطبيعة الصحراوية وضعف التعداد السكاني والحكم العشائري عوامل مشجعة للسياسة الأمريكية في الاستحواذ والنفوذ حيث أرست قواعدها العسكرية ومخابراتها الأمنية وشركاتها الاقتصادية ،و ظل مجلس التعاون الخليجي منطقة غبر محورية في صناعة الأحداث العربية مثل مصر والجزائر وسوريا والعراق ، وبرزت هذه الملاحظة بشكل جلي منذ الغزو العراقي للكويت 1991 م ثم الحرب الأمريكية على العراق 2003 م مرورا بالحصار والحرب على قطاع غزة وأخيرا زمن الربيع العربي ، والسبب يعود إلى الثقافة السياسية والفكرية السائدة وغياب النخبة القادرة على صياغة البدائل والسياسات رغم البحبوحة المالية المتوفرة ، أما الدور القطري منذ أواخر التسعينيات فقد عمل على منطق التنافس خليجيا مع المملكة العربية السعودية والتحرك في منطقة الفراغ الذي تركته الدول المحورية العربية ،مما جعل كثير من الخبراء يطرحون علامات الاستفهام وانتقادات واسعة اتجاه السياسة الخارجية القطرية.

6- الربيع العربي وسيناريو التفكيك

تمر دول العالم العربي منذ أواخر عام 2010 بمرحلة غير مسبوقة تتمثل في تفاقم النزاع الداخلي بين الأنظمة القائمة والجماهير الواسعة أدت إلى حالة من العصيان المدني والمظاهرات الشعبية القوية الخالية من الخطاب الأيديولوجي والتأطير الحزبي، كانت أولى نتائجها سقوط أنظمة كاملة برؤسائها وأحزابها ومباحثها الأمنية ومنظوماتها السياسية ، و تتلخص الأسباب الحقيقية وراء هذه الثورات في الواقع العربي كما تشير كثير من الدراسات والأبحاث إلى ما يلي:

تفاقم الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية مثل البطالة وأزمة السكن وغلاء المعيشة وتدهور القدرة الشرائية و تراجع الطبقة الوسطى أمام التحولات الاقتصادية والاجتماعية المحلية والعالمية دون بروز حلول ناجعة.

انتشار الفساد وظهور المافيا المالية ونهب المال العام وسؤ التسيير في كافة مجالات الحياة ونخور مؤسسات الدولة والمجتمع .

الشعور باليأس والإحباط وفقدان الأمل لدى قطاع واسع من الشباب وغياب آفاق المستقبل نتيجة عدم استيعاب مشكلاتهم وتطلعاتهم المشروعة في العمل والحرية والقيادة والإنتاج.

انسداد المناخ السياسي أمام الإصلاح والتغيير وغياب الحريات العامة وانتهاكات حقوق الإنسان وغياب المشاركة السياسية في الحكم وانعدام التداول السلمي على السلطة.

ISSN 2170-0796


عجز الأحزاب والحركات والنخب عن التغيير و حل مشكلات المجتمع.

مهما اختفت الآراء والتفاسير حول خلفية هذه الثورات بين نظرية المؤامرة و نظرية التغيير فان الاضطرابات السياسية والأمنية وغياب التوافق السياسي الذي رافق عملية تسيير المرحلة الانتقالية ترك العديد من الأسئلة و علامات الاستفهام حول أزمة البنية الداخلية و الدور الغربي في إجهاض عملية التحول الديموقراطي وصناعة مناخ قاتم في العالم العربي، الأمر الذي عمق عملية التفكيك والتقسيم الطائفي والمذهبي والفكري و عدم تغليب المصلحة العامة على المصلحة الخاصة عند كثير من القيادات السياسية والنخب الفكرية كانت أخطر نتائجه المواجهات العسكرية بين أبناء الوطن الواحد و التهجير القسري و معضلة اللاجئين وإضعاف القدرات الذاتية للدول .

7- القادمة للسياسة الأمريكية

في دراسة جديدة قدمها الخبير الاستراتيجي الدكتور وليد عبد الحي تحت عنوان (الوطن العربي 2014 :المزيد من التفكك) نشرها مركز الجزيرة للدراسات ، لخصت الدراسة إلى نقاط مهمة ، منها التفكير الجديد الذي يراود صناع الفكر الاستراتيجي في الولايات المتحدة الأمريكية :

- الشعور بالفشل وإعادة تقييم السياسة الأمريكية اتجاه بناء الشرق الأوسط الجديد الذي لم يضمن أمن إسرائيل و بناء ديموقراطية تتماشى مع السياسة الغربية.
- تنامي تيار فكري أمريكي يدعو إلى إعادة النظر في التوسع الأمريكي في المنطقة العربية بعد الإرهاق الذي عانت منه أمريكا في العراق و أفغانستان ومتاعب الإنفاق على القواعد العسكرية.
- التحول نحو ترتيب الأقاليم الإستراتيجية في العالم والتفكير في القوة الناعمة والاستقلال الطاقوي بعد ما استطاعت الصين أن تحقق استثمارات ضخمة في العالم العربي دون استخدام القوة العسكرية والضغوط السياسية والاقتصادية كما فعلت أمريكا.

8- العالم العربي إلى أين ؟

قبل قصة أي استعمار هناك قابلية للاستعمار نظرية هامة نطق بها المفكر مالك بن نبي ،إذ أن الغزو السياسي والثقافي والإعلامي الذي يمتد في فراغنا هو نتيجة حتمية لطبيعة عقولنا وأفكارنا وعلاقاتنا وجهازنا النفسي و المفاهيمي ، كيف نفسر الدور المريض الجامعة العربية ؟ كيف نفهم الدور التاريخي المتصاعد لإيران وسياسات التشيع في المنطقة العربية ؟ كيف نفهم دور السلطة الفلسطينية في عملية التسوية والتطبيع مع إسرائيل ؟ كيف يفرض حصار جائر على قطاع غزة في قلب العالم العربي ؟ كيف يستديم الصراع في السودان لأكثر من 50 سنة دون حلول ؟ كيف تعيش الجزائر عشرية سوداء من الإرهاب والعنف خلال التسعينيات ؟ كيف نفسر تخلف التنمية و الديموقراطية والبحث العلمي في العالم العربي ؟ كيف يتحول إسلامنا الحنيف إلى مصدر للعنف والإرهاب ؟

أسئلة كثيرة مطروحة للبحث والتفكير تستدعي أهل الفكر والقلم وصناع القرار في العالم العربي إلى دراسة وتقييم مسيرة القرن الماضي إذا أردنا وضع قواعد سليمة لبناء الدولة و الأمة وتجاوز الصراع الإيديولوجي والمصالح الشخصية و الحزبية والفئوية الضيقة ، وإن غدا لناظره قريب.